بسم الله الرحمن الرحيم

التّطبيقات اللغوية/المرحلة الرابعة

كليَّة التربية للعلوم الإنسانية– قسم اللغة العربية

أُستاذ المادة: أ.م.د. ميثاق حسن عبدالواحد

تكامل المستويات اللغوية

يتشكّل نظام التواصل اللغوي/اللساني من أربعة مستوياتٍ رئيسةٍ, تُكوِّن بمجموعها منظومة التفاهم والإفهام بين مستعملي النظام اللغوي الموحَّد. وهذه المستويات هي:

_ المستوى الصَّوتي (الفونولوجي)

_ المستوى الصَّرفي (المورفولوجي)

_ المستوى النَّحوي التَّركيبي

_ المستوى الدَّلالي المفهومي

تتَّسم العلاقة بين هذه المستويات بالتَّكامل والتواصل, إذ يعتمد كلٌّ منها على المستويات الأخرى, ويتوقف قيامه عليها... أي أنَّها لا تستغني عن بعضها البعض, تتواصل وتتكامل ويصبُّ كلٌّ منها في مجرى الآخر.

يُعدُّ المستوى الصوتي الفونولوجي اللبنة الأساس لنظام التواصل اللغوي ومادته الأولية الرَّئيسة, فمن دون الأصوات لا يوجد هناك تواصل لغوي لساني وهذا يُعيدنا إلى تعريف ابن جنّي (ت392هـ) للغة بأنَّها (أصواتٌ يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم) فاللغة في أبسط صورها هي أصوات, ونحن عندما نسمع ذلك نفهم أنَّه

أراد بالأصوات ما كان منها صوتاً وما كان حركة؛ لأنَّها هي التي تتآلف في مرحلة لاحقة وتتركب على وُفق هيئآت معينة ومخصوصة لتشكل منظومة التواصل بين المستعملين العرب. وإذا حاولنا تلمُّس آثار المستوى الصوتي في المستويات الثلاثة الأخرى التالية له والمتوقفة على وجوده سنجد أنَّ أُولى مظاهره وآثاره وفاعليته تتمثّل بدور الأصوات في ملء القوالب الصَّرفية المجرَّدة التي ينهض ذلك المستوى بوصفها وتحديد خصائصها وأشكالها وبيان وجوه التفاوت والاختلاف فيما بينها (يُراجع كتاب معاني الأبنية في العربية للدكتور فاضل صالح السَّامرّائي).. فتلك الأصوات هي التي تملأ تلك الأبنية والقوالب الصرفية, فتشكل منها الألفاظ المختلفة التي تتَّحد فيما بينها أو تتقاطع تبعاً لطبيعة البنية الصَّرفية والأصوات المؤلِّفة لها, فمثلاً البناء (فَعَلَ) يمكن أنْ يكون وعاءً للعديد من الأصوات التي تدخل على أوَّله ووسطه وآخره, فمنه ينتج: (كتب, ذهب, قلب, أكل, لعب...إلخ) ولكل صيغة من تلك الصيغ دلالة معينة ووظيفة فعلية حدثية, وهذه الأصوات نفسها قد تنتقل إلى أبنية أخرى مثل (فاعل, مفعول, فعيل...إلخ) فتؤدي الوظائف اللغوية الموضوعة لها في أصل الوضع والاستعمال. وهنا علينا أنْ نفهم دور الأصوات وأثرها في إكساب بعض الصيغ اللفظية خصائص وسمات تعبيرية معيَّنة (وهذا ما لمسناه جلياً في موضوع المحاكاة الصوتية كلفظة الكبكبة مثلاً) أي أنَّ الأصوات قد تأتلف على وُفق هيأة مخصوصة فتمنح اللفظ معانيَ إضافية ودلالاتٍ ثانوية فتجعله مثالاً للمساوقة والمحاكاة التي يتماهى فيها جرسُ اللفظ بوصفه دالّاً مسموعاً ومضمونه بوصفه مدلولاً مفهوماً محاكًى.

ولا يتوقف أثر الأصوات وفاعليتها في المستوى الصرفي فقط بل نلحظ أثرها البارز والفاعل والمهم في المستوى النحوي التركيبي, الذي يتمثل بعلامات الإعراب التي هي أجلى مظاهر المستوى الصوتي في المستويات الأخرى وأكثرها فاعلية

ومدخلية.. فالحركات الإعرابية هي أصواتٌ في الأساس سواءٌ ما كان منها علاماتٍ إعرابية أصلية كالضمّة والفتحة والكسرة أو العلامات الإعرابية الفرعية النائبة كالألف والواو وثبوت النون...إلخ فهي كلها عناصر مستعارة من المستوى الصوتي, وقد تعارف علماء اللغة والنحو على أنَّ لعلامات الإعراب أثراً في المعاني, وأكَّدوا (سوى قطرب أحمد بن المستنير ت206هـ ومن تبعه) على أنَّ حركات الإعراب أدلّة المعاني, وأنَّها واحدةٌ من القرائن اللفظية المهمة في فهم المعاني اللغوية وتحصيلها, ومن ثم جعلوا كل علامة إمارة على الوظائف اللغوية المرتسمة فيها ودليلاً على المعاني اللغوية المقصودة.

مثلما كان للمستوى الصوتي أثرٌ في المستوى الصرفي كذلك للمستوى الصرفي فضلٌ على المستوى الصوتي, فلولا وجود القوالب الصرفية لما كان هناك وعاء يستوعب الأصوات ويحتويها, وهنا نتلمَّس أيضا دور الصيغة الصرفية في تحديد المعاني اللغوية وتشخيصها بدقة ومن ثم تكون مؤثرة في كيفية تآلف الأصوات وانتظامها داخلها. وكذلك لولا وجود التراكيب والجمل التي تنتسب إلى المستوى النحوي لما كان للعلامات الصوتية الإعرابية من دور وظيفي فيها...

إذا انتقلنا إلى المستوى الدلالي فهو الغايات والأغراض التي أشار إليها ابن جنّي في تعريفه, وبسببها وُجدت اللغة برمتها بأصواتها وقوالبها وتراكيبها, فلولا حاجتنا إلى الفهم والتفاهم والتواصل فيما بينها لما ابتدعنا هذا النظام المسمى باللغوي واللساني للتعبير عما في داخلنا من حاجات وأغراض...

إنَّ أهمَّ دليل على تكامل المستويات اللغوية وترابطها وتواصلها.. هو مجيؤها معاً في النصوص التواصلية والأشكال التعبيرية المتفاوتة.